تطور نمو الأبناء ومتطلبات المراحل

الفصل الثالث

حاجات النمو في مرحلة الطفولة

obeikan.com

obeikan.com

تعتبر مرحلة الطفولة من المراحل المهمة في مسيرة حياة الفرد، فأطفال اليوم هم رجال الغد وبناة مستقبله، إلا أنه لا بد من الوضع في الاعتبار أن جيل اليوم خلقوا لزمان غير الزمان الذي عشناه، والطفل الذي نخطط اليوم لرعايته لكي ينمو نموا سليما، سيعمل ويتعامل مع الحياة بعد فترة من الزمن تختلف عما نحن فيه اليوم، وهذه الخاصية الزمنية هي ما يجب علينا مراعاته، كما يجب الحرص على أن يتضمن برنامج رعاية الطفل كافة المظاهر الجسمية والعقلية والاجتماعية. فالطفل كائن اجتماعي ينمو وفق سياق اجتماعي منذ اللحظة الأولى لميلاده، ويحتاج إلى رعاية مستمرة تلبي احتياجاته الأساسية التي تتماشى مع حياة اجتماعية تتسم بالتغير المستمر والمتسارع.

أهمية الرعاية الأساسية لنمو الطفل

لقد كانت أسس رعاية الطفل من صميم اهتمام الباحثين في الشئون التربوية والنفسية، حيث عقدت الندوات والمؤتمرات لتقديم أنجع الطرق التربوية والنفسية في تشكيل جيل خال من الأمراض الجسمية والاجتماعية والنفسية، وكانت «وثيقة عقد حماية الطفل المصري ١٩٨٩-١٩٩٩، تصب في هذا الإطار حيث أجريت دراسة ميدانية في مصر بهدف استخدام وسائل العصر لرعاية الأطفال وحمايتهم وصيانة حقوقهم (زهران، حامد؛ وسري، إجلال ١٩٩٢:١٢١).

وأكدت الوثيقة على أن تلبية احتياجات الأطفال هي الوسيلة المثلى لتحقيق التنمية البشرية والقومية، وكان من بين محاورها عملية النمو الاجتماعي، وأهم ما تمخضت عنه في هذا الموضوع التوصيات التالية:

توصيات تتعلق بنمو الأبناء بشكل عام:

- تحقيق مطالب النمو الاجتماعي، ومن بينها: تعلم الفروق بين الجنسين، والتوحد مع أفراد نفس الجنس، وتعلم الدور الجنسي في الحياة، وتعليم

المهارات الأساسية اللازمة لشئون الحياة اليومية، وتعلم الطرق الواقعية في دراسة البيئة والتحكم فيها، وتعلم قواعد الأمن والسلامة، وتكوين المفاهيم والمدركات الخاصة بالحياة اليومية والمشاركة في تحمل المسؤولية، وتعلم ممارسة الاستقلال الشخصي، وتكوين مفاهيم بسيطة عن الواقع الاجتماعي ونمو مفهوم الذات واكتساب اتجاه سليم نحو الذات، والشعور بالثقة في الذات وفي الآخرين.

- التوعية المستمرة بأهمية استمرار تحقيق مطالب النمو الاجتماعي ضمن مطالب النمو في كافة مظاهره الأخرى.

توصيات تتعلق بإشباع الحاجات الأساسية لمرحلة الطفولة:

- إشباع حاجات الطفل مثل الحاجة إلى الرعاية والأمن والحب والتقبل والحنان والفهم واللعب والحرية والاستقلال والإنجاز والمدح من قبل الوالدين والمربين والأقران.

- التحذير من خطر الحرمان ونقص إشباع الحاجات الأساسية كسبب رئيسي للمشكلات والاضطرابات والأمراض النفسية (زهران، حامد؛ وسري، إجلال ١٩٩٢:١٢٧).

الحاجات المتعددة لنمو الطفل:

ويرى الدكتور حامد زهران (٢٠٠٥) أن معرفة حاجات نمو الفرد والمستويات الضرورية التي تحدد خطواتها تفيد في توجيه العملية التربوية، كما تبين مدى إشباع الفرد لحاجاته وفقا لمستوى نضجه وتطور خبراته أثناء المرحلة العمرية التي يمر بها. وتحدث مطالب النمو نتيجة تفاعل مظاهر النمو العضوي (كما في تعلم المشي)، وآثار الثقافة القائمة (كما في تعلم القراءة)، وغيرها وفقا لكل مرحلة عمرية للفرد.

كما يشير حامد زهران إلى أهم حاجات النمو في مرحلة الطفولة، كالتالي:

- المحافظة على الحياة.
- تعلم المشي.
- تعلم استخدام العضلات الصغيرة.
- تعلم الأكل.
- تعلم الكلام.
- تعلم ضبط الإخراج وعاداته.
- تعلم الفروق بين الجنسين.
- تعلم المهارات الجسمية الحركية اللازمة للألعاب وألوان النشاط العادية.
- تحقيق التوازن الفسيولوجي.
- تعلم المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب.
- تعلم المهارات العقلية المعرفية الأخرى اللازمة لشؤون الحياة اليومية.
- تعلم الطرق الواقعية في دراسة البيئة والتحكم فيها.
- تعلم قواعد الأمن والسلامة.
- تعلم ما ينبغي توقعه من الآخرين كالوالدين والرفاق وغيرهم.
- تعلم مهارات التفاعل الاجتماعي مع رفاق السن وتكوين الصداقات والاتصال بالآخرين.
- تعلم التمييز بين الصواب والخطأ والخير والشر ومعايير الأخلاق والقيم.
- تعلم الدور في الحياة، والتوحد مع أفراد نفس الجنس.
- تكوين اتجاهات سليمة نحو الجماعات والمؤسسات والمنظمات

الاجتماعية.

- تكوين المفاهيم والمدركات الخاصة بالحياة اليومية.
- تعلم المشاركة في المسؤولية.
- تعلم وممارسة الاستقلال الشخصي.
- تكوين مفاهيم بسيطة عن الواقع الاجتماعي.
- نمو مفهوم الذات واكتساب الثقة في الذات وفي الآخرين.
- تحقيق الأمن الانفعالي.
- تعلم الارتباط الانفعالي بالوالدين والإخوة والآخرين.
- تعلم ضبط الانفعالات وضبط النفس (زهران، حامد(١) ٩٧ : ٢٠٠٥).
- تتضمن القائمة أعلاه مجموعة من المتطلبات أو الاحتياجات اللازمة لنمو الطفل، ويمكن تقسيم هذه الاحتياجات (انظر: القناوي، هدى ٢٠٠٨) إلى ثلاث مجموعات؛ هي:
- حاجات النمو الجسمية والفسيولوجية.
- حاجات النمو الانفعالية والاجتماعية.
- ❊ حاجات النمو العقلية.

وبمعرفة الآباء والمربين لاحتياجات الطفل المتنوعة يمكنهم أن يقوموا بتنشئة الطفل تنشئة سليمة، وسنتناول مناقشة كل مجموعة من مجموعات النمو على حدة وكيفية إشباعها:

(١) استخدم، في هذا المؤلف، عدة مراجع للدكتور حامد زهران إصدار ٢٠٠٥، وغالبا كلها تحمل نفس الموضوع، لذلك لم يميز بينها في متن المؤلف.

أولا: حاجات النمو الجسمية والفسيولوجية

تتمثل الاحتياجات الجسمية في الحاجة إلى الغذاء والشراب؛ الحاجة للإخراج والتخلص من الفضلات، الحاجة للنوم والراحة؛ الحاجة للحركة والنشاط. ويعتبر إشباع حاجات الطفل بالغذاء والشراب ضروريا لصحته وسلامة نموه، فمن خلالهما يستمد جسم الطفل الطاقة التي يحتاجها للقيام بنشاطه البدني والذهني، وللغذاء فائدة كبيرة في إصلاح الخلايا التالفة وإعادة بنائها، وكذلك تكوين خلايا جديدة، كما يساعد على زيادة مناعة الجسم ضد بعض الأمراض والوقاية منها(قناوي، هدى ٢٠٠٨:٩٦).

وعلى الأم أن تعي أن أهمية رعاية الطفل الغذائية تبدأ قبل مولده، فالأم أثناء الحمل تكون مصدر غذاء الجنين، لذا لا بد أن يكون غذاؤها كاملا ومتنوعا، فسوء التغذية أثناء فترة الحمل يعيق عملية النمو عند الجنين بشكل عام، فمثلا نقص مادة البروتين من غذاء الأم له تأثير سلبي على صحة الجنين من حيث الوزن والطول وتكون العظام، وكذلك يؤدي نقص الفيتامينات (A-B-D-E) في غذاء الأم إلى فقر الدم والهزال لدى الجنين، وربما تنتج عن ذلك مستقبلا آثار خطيرة على صحته، كالتخلف العقلي والكساح (المصري، سلمى ١٢٢ :٢٠١٠).

كذلك يتأثر الجنين سلبا بالأمراض التي تصاب بها الأم، خاصة في الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل، فمرض الزهري إذا ما أصيبت به الأم قد يؤدي إلى التخلف العقلي أو الصمم أو العمى عند الجنين، ورغم أن الحصبة الألمانية لا تظهر أعراضها على الأم إلا أنها قد تصيب الجنين بالإعاقة في وظائف أجهزة الجسم، كذلك فإن اضطراب إفراز الغدد الصماء عند الأم يعيق عملية النمو العام عند الجنين(المصري، سلمى ١٢٣ :٢٠١٠). وهنا يكون إشباع حاجة الطفل لإمداده بالتغذية والمحافظة على سلامته، يقع على عاتق الأم الحامل، لذا عليها أن

تهتم بتغذيتها وبصحتها العامة إذا ما أرادت أن تحافظ على سلامة طفلها مستقبلا.

ومن الأمور الضارة أيضا على الجنين أثناء فترة الحمل تعاطي المرأة الحامل للعقاقير دون رقابة الطبيب، خاصة في الشهور الأولى من الحمل قد تكون له عواقب وخيمة على صحة الجنين. كما أن إدمان الأم على الخمر أو المخدرات أو الإفراط في التدخين يحدث تغييرا كيميائيا في دمها، ويؤثر على صحتها النفسية، ويلحق ذلك الضرر بالجنين(المصري، سلمى ١٢٣ :٢٠١٠).

أما غذاء الطفل بعد الولادة فيتمثل أفضله في الرضاعة الطبيعية، فهي الأداة التي تؤمن للطفل الحاجات النفسية والشعور بالطمأنينة والأمن، فلبن الأم يعتبر أفضل غذاء للطفل منذ لحظة الميلاد وقد يستمر لمدة سنتين. وبإرضاعه الطبيعي في اليومين الأولين يحصل المولود على مادة «الكولستروم»، وتمد هذه المادة المولود بقوة تساعده على مقاومة العدوى في الشهور الأولى من حياته، فلبن الأم ضروري على الأقل في عامه الأول، فهو يحتوي على مكونات غذائية تكون أكثر ملائمة لاحتياجات الطفل الصحية عن الألبان الصناعية (قناوي، هدى ٢٠٠٨:٩٧).

وعندما يصل الطفل سن ٣-٦ على القائمين على تربيته أن يعودوا الطفل على تناول الغذاء المفيد المتكامل العناصر الغذائية، واتباع النظام والنظافة والاعتماد على النفس، ومن المهم ألا يجبر الطفل على تناول طعام معين، أو يكره على تناول كمية أكبر من طاقته، فلن يضير صحته شيئا أن يبقى بدون طعام لوجبة أو وجبتين بقدر الضرر الذي سيصيبه إذا ما أجبر على أكل لا يرغب فيه (قناوي، هدى ٢٠٠٨:١٠٠).

وتعتبر عملية الإخراج :elimination كالتبول والتبرز من الحاجات العضوية الضرورية لحياة الطفل، والسن الطبيعي الذي يتمكن فيه الطفل من ضبط الأمعاء هو سن ١٢ شهرا، أما ضبط المثانة فيكون بعد أن يبلغ السنتين، وكثير من الأمهات يبدأن التدريب على ضبط وظائف الأمعاء فيما بين الشهر التاسع والرابع

عشر، ويكملن تمرين الطفل في الثامن عشر إلى العشرين شهرا. ومن المفيد أن نعلم أن الأمهات اللاتي يبدأن تدريب أطفالهن متأخرا يحتجن إلى فترة زمنية أقل حتى يتمكن الطفل من عملية الإخراج بمفرده (قناوي، هدى ١٠٥:٢٠٠٨).

ومن الحاجات التي تتطلبها عملية النمو حصول الطفل على الراحة والنوم، فسرعة نمو الطفل في هذه المرحلة تستدعي مجهودا كبيرا لهدم الأنسجة وبنائها، وهي العملية التي تحدث بسرعة وبشدة أثناء قيام الطفل بالأنشطة المختلفة. وهنا يكون نوم الطفل عاملا مهما لتعويض ما يبذله من مجهود، فتحفظ بذلك الطاقة التي تتطلبها عملية النمو، ويتم إصلاح ما أصاب الأنسجة من تلف، فيحافظ الجسم على توازن التكوين الكيميائي والعمليات الفسيولوجية (قناوي، هدى ١١١:٢٠٠٨).

ومن الحاجات العضوية أيضا لنمو الطفل، حاجته للعب والنشاط والحركة، فهي ضرورية لإحساس الطفل باللذة وتجلب له السرور، وتفوق فائدتها المستقبلية على صحة الطفل فائدتها في الوقت الحاضر، ولا تقتصر على الفوائد الجسمية بل تتعداها إلى الفوائد العقلية والانفعالية والاجتماعية(قناوي، هدى ١١٤:٢٠٠٨).

ثانيا: حاجات النمو الانفعالية والاجتماعية

يجب أن لا تقتصر تربية الآباء لأبنائهم على إشباع حاجاتهم الفسيولوجية فقط، وإنما لا بد من إعطاء اهتمام كاف بمقومات شخصيتهم. وهنا تلعب التربية دورا كبيرا، يقول الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي(٢٠٠٠): التربية كما هو معلوم، «ليست نحتا في شخصية الطفل فقط، ولكنها إغناء لشخصيته، وذلك من خلال توفير كل ما يسمح بنمو شخصيته نموًا صحيحًا متكاملا»(ص ١١٨).

إن إشباع الحاجات النفسية والاجتماعية للطفل أثناء مراحل العمر المختلفة وبطرق سليمة، تؤهله أن ينمو نموا طبيعيا، في ظل حياة سوية خالية من العقد والأمراض النفسية. وتتمثل هذه الحاجات في الأمن والعطف والتقدير والحرية وغيرها.

وترى هونري أن إشباع حاجة الأمان هي الحاجة الجوهرية الثانية للطفل، بعد إشباع حاجته الجوهرية الأولى المتمثلة في كل ما هو فسيولوجي، من طعام وماء ونور ...الخ. وتأتي أهمية إشباع حاجة الطفل للأمن باعتبار ذلك دافعا أساسيا لدى الطفل الذي لابد أن يشعر بأنه محبوب ومرغوب ومحمي من الخطر ومن عدوان الآخرين عليه.

وتؤكد هونري أن الطفل يعتمد اعتمادا كليا على والديه في إشباع حاجته إلى الأمان، وعندما يمنح الوالدان الطفل مشاعر الدفء والحنان والعاطفة، فإنهما بذلك يشبعان حاجته إلى الأمن، ويهيئانه إلى أن ينمو نما نموا سليما، والعكس هو الصحيح، فثمة عدد من أنماط السلوك الوالدية من شأنها أن تحبط حاجة الطفل إلى الأمن، منها مثلا التمييز بين الأبناء والعقاب الظالم والسخرية منه وعدم الوفاء بالوعد، وكذلك من الأمور التي تلحق بالطفل ضررا الحماية الزائدة، كل ذلك بالإضافة إلى التمييز بينه وبين إخوته أو أحدهم، وتنشأ العدوانية بأشكالها المتنوعة نتيجة لسوء المعاملة الوالدية. وتضيف هنري إن شعور الطفل بعدم الأمان يولد لديه مشاعر بالعجز والخوف والإحساس القوي بالذنب، غير أن هذه المشاعر العدائية تجاه الوالدين يتم كبتها، ولكنها ولسوء الحظ تفرض نفسها على علاقات الطفل المستقبلية مع الآخرين، وبالتالي يصاب الطفل بما يمكن تسميته « بالقلق الأساس» حيث يشعر بأنه وحيد وعاجز، وخائف تملؤه مشاعر عدائية تجاه الآخرين« (عيد، إبراهيم محمد١٢٨:٢٠٠٦).

إن إشباع متطلبات النمو النفسي للمولود والرضيع، يمثل أهم العوامل لإطلاق إمكانات شخصيته وتحريرها، وتوظيفها، ويتمثل ذلك في مدى ما يقدمه المحيطون به، وخاصة الوالدين، من حب وتقدير. ومن أهم ركائز الحياة الانفعالية لدى الطفل التفاعل العاطفي بينه وبين بيئته الأسرية والمدرسية، إن ما يهيئه له الكبار، من آباء ومدرسين وغيرهم، من ناحية وما يكنه هو لهم من الحب، له عظيم الأثر على صحته

النفسية. وكل ما يسبب له من انزعاج أو اعتداء على ما يحبه الطفل يؤدي إلى إحساسه بالغيرة الشديدة أو بعدم الاتزان الانفعالي، فالأطفال الذين يشعرون أنهم منبوذون من ذويهم أو أنهم غير مرغوب بهم قد يكونون عرضة لكثير من مشكلات التوافق النفسي (الأشول، عادل ٤١٩:٢٠٠٨).

وجدير بالذكر أن بوادر الحب عند الطفل تتضح في الشهور الأولى من حياته، ويلعب الحب دورا كبيرا في تطور شخصيته نحو النضج والاتزان. وما من شك أن الشخص يظل طيلة حياته تواقا إلى أن يكون مرغوبا فيه وبأنه ينتمي إلى جماعة معينة، يتبادل معها مشاعر الولاء والإخلاص، وإشباع هذه المشاعر في فترة الطفولة، لا تمنح الطفل الرضا والأمن فقط، بل أيضا تزوده بالقدرة في مواجهة ما يعترض حياته من عقبات في مستقبل حياته. وحرمان الطفل من هذه المشاعر، والتقليل من أهميته مقارنة بمن يعيش معهم تولد عنده الإحساس بالغبن وتسرب في ذاته مشاعر العدوان التي قد تتجه نحو الذات أو نحو الآخرين (الأشول، عادل ٤٢٠:٢٠٠٨).

ويقتضي إشباع الحاجات العاطفية والاجتماعية للطفل إدراك المحيطين به بمدى هذه الأهمية وكيفية إشباعها، ويقول الدكتور عدنان السبيعي:

« إننا من أجل أن ندرك خصائص النمو النفسي للطفل في مرحلة المهد مطالبون بأن نفهم طبيعة المواجهة التي تقوم بينه وبين الكبار (الذين يقومون على رعايته) وهي مواجهة تؤدي إلى وقوع تعارض بين ما يحتاج إليه من جهة والتوقعات الثقافية الاجتماعية التي يعيش فيها من جهة أخرى. وتتمثل هذه التوقعات فيما نسميه مقتضيات النمو: يجب أن تتحقق لدى طفل المهد وخلال مرحلة السنتين الأولى من حياته مطالب تعد ضرورية لتؤكد سلامة تكوينه وسوائه النفسي أهمها البدء بالفطام من الرضاعة وتعود تناول طعام جاف، تعلم الكلام، تعلم الزحف ثم المشي، اكتساب التعلق الاجتماعي بالوالدين والإخوة وكل

الآخرين بوجه عام، اكتساب مفهوم دوام الأشياء (فالأشياء تبقى موجودة ولو غابت عن أنظاره)، أما ما يشعر به الطفل فهو حاجته إلى إشباع المطالب الأساسية من الراحة والبعد عن الألم وحاجته إلى التنبه والاستثارة وممارسة النشاط والتعلق العاطفي (فيحب ويحب) وحاجته للاستقرار والثبات في المعاملة هذا إلى جانب حاجته البيولوجية من تغذية وإخراج ونوم ... بشكل متوازن» (١٩٩٧:٩٢ -٢-).

وينصح الدكتور السبيعي بأهمية منح الثقة للرضيع والمولود، ويعتبر الثقة أساسية في حياة البشر، بما يستوجب إعطاءها أولوية الاهتمام بأن تمنح لكل فرد في المجتمع ومن كل مؤسساته، في الأسرة والمدرسة والنادي والعمل والدولة، وجدير بالذكر أن الطفل يمتلك منذ نشأته الأولى بعد الولادة مقدرة الإدراك وبطريقة مباشرة ما يقوم به ذووه تجاهه من رعاية أو إهمال، صواب أو خطأ، وهناك من الآباء من تتفاوت درجة عطائه للأبناء من اهتمامه. وبمعرفة الآباء لحاجات الصغير واستجابتهم لها بطريقة صحيحة ومناسبة، يقابل هذه الاستجابة بثقته فيهم ويشعر أنه معزز ومكرم وأن المحيطين به سيلبون حاجاته عندما تتطلب إشباعها، وتتضح رغبات الطفل لإشباع هذه الحاجات من خلال ملامحه وسلوكه، كإشراق الوجه والمرح اللذين تعبر عنهما هذه الملامح، ويمكن معرفة ذلك أيضا من تنامي قدراته على تحمل تأخر مطالبه أو تأجيلها، إن إحساس الطفل بالثقة ما هو إلا قناعة انفعالية تساعده على الشعور بالتوحد مع محيطه الاجتماعي (١٩٩٧:٩٩ -٢-).

من الأمور المهمة أيضا، أن يجهد الآباء في تقوية ثقة الطفل في نفسه، وتعزيز الطموح لديه، ويفيد كثيرا أن يقص الآباء على أبنائهم قصص عن الرجال من هم أهل الصلاح والنجاح والذين يمكن أن يمثلوا للنشء القدوة الحسنة في الأخلاق والسلوك (بكار، عبد الكريم ٢٠٠٩:٤٠).

وعندما يفشل القائمون على رعاية الطفل في التعرف على حاجاته وتلبيتها، جهلا أو تعمدا، تنتابه بذور الشك من المحيطين به، ويجب أن يسعى المحيطون بالطفل لتلبية

احتياجاته بالطريقة الصحيحة، أي ألا يتم التعامل معه باستخدام الشدة والخشونة، ولا يتجاهلوا ما يظهر عليه من توتر بسبب ما يتعرض له من مواقف. وهناك كثير من الآباء من يتعامل مع توترات الأبناء بطريقة خاطئة في الأسابيع الأولى من حياة الطفل، كأن تسارع الأم إلى إرضاعه أو تأخذ في أرجحته بمجرد أن يشرع في البكاء، بينما بكاؤه في الواقع ربما يكون نتيجة انزعاجه من الأصوات المنفرة أو الرغبة في شد انتباه الكبار من حوله إليه (نفس المرجع ص ١٠٠).

وباستمرار التعامل مع الطفل بالطرق الخاطئة تتكون لديه بذور سيئة قائمة على العشوائية وانعدام الفهم فتتزعزع ثقته بمن حوله، وقد تبدأ لديه استعدادات لإصابته بالاكتئاب والتقوقع على نفسه، وقد يؤدي ذلك إلى فقدان الشهية أو الامتناع عن اللعب وعدم الابتهاج بوجود الآخرين، وربما يلجأ الطفل إلى أسلوب المواجهة مع الكبار وفرض الذات، أو تخريب محتويات المنزل التي قد تؤول إلى مواقف عدوانية واتجاهات التدمير، وكل ذلك يعبر عن أهمية تكوين الثقة عند الطفل وضرورة التعامل معه بأسلوب التفاهم وتحقيق التكيف والارتقاء به إلى قمة التفاعل البناء، وفي جو كهذا مشبع بالثقة بين الطفل وأفراد أسرته من شأنه أن ينشط ويحفز جهود الطفل، فتتم إنجازات النمو منذ البداية لتكون بمثابة الصخرة التي يستند الطفل إليها ليكمل مراحل النمو بسلام (نفس المرجع ص ١٠١).

ويعتبر الشعور بالانتماء من الحاجات الاجتماعية الضرورية لنمو الطفل، وهو ضرورة لأي فرد في المجتمع الذي هو في حاجة لأن يشعر بأنه جزء من جماعة، يشتركون معا في المصالح المتبادلة ويشعر معهم بالحماية والمساندة، ويكون على استعداد أن يمدهم بتلك الأشياء كلما استطاع لذلك سبيلا، ومنذ بدء حياته تتطور الألفة بين الطفل وأسرته نتيجة المحبة التي تلقاها منهم إلى الولاء إلى مجتمعه الصغير – جماعات اللعب، الزملاء في الدراسة، في النادي– ثم ينتقل ولاؤه وانتماؤه إلى المجتمع الكبير (قناوي، هدى ١٥٩:٢٠٠٨).

ثالثا: حاجات النمو العقلية والمعرفية

هناك الكثير من المهارات العقلية التي يحتاج الطفل إلى تعلمها، ويتوجب على المؤسسات التربوية كالأسرة والمدرسة القيام بواجبهم تجاهه وتعليمها له وتدريبه عليها. منها المهارات العقلية المعرفية التي يحتاجها في ممارسته لشئون الحياة، ومنها تمكنه من تعلم المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب وتطويرها وفقا للمراحل الدراسية أثناء مرحلة الطفولة. وكذلك تحفيز الرغبة لديه وإشباعها بمعرفة ما يحيط به من بيئة وكيفية اكتشافها. إن إشباع هذه الحاجات العقلية تصقل شخصية الطفل تدريجيا، وتنمي مواهبه، فمرحلة الطفولة تتصف بعدم اكتمال نضج الجهاز العصبي، لذلك فإن القدرات العقلية للطفل في مرحلة الطفولة المبكرة لا تظهر بشكل واضح، ويصبح تفكيره ماديا وحسيا لا يستطيع التفكير في الأمور المعنوية المجردة؛ مثل: معنى الحق والخير والجمال والشر أو الواجب، ولا يكون باستطاعته التفكير إلا في الأمور الشخصية التي يلمسها بحواسه المختلفة (عيسوي، عبد الرحمن ١٩٨٤:٨٤).

وعن طريق الحواس التي تعتبر منافذه للمعرفة يتعرف الطفل على العالم الخارجي منذ أولى مراحل عمره، ويصل بذلك إلى معرفته للأشياء، أي المستوى الإدراكي، تليها قدرة الطفل على التذكر واسترجاع الصور الذهنية التي مرت عليه سمعية كانت أو بصرية. وأخيرا يأتي مستوى العلاقات، ويشمل مهارات التفكير وعملياته والوصول إلى حلول المشكلات مرورا بسلسلة متتابعة لمفاهيم رمزية ومعان محددة (قناوي، هدى ٢٠٠٨:١٢٣). فالطفل في حاجة دائما إلى أن ينمي إدراكه للأشياء مما يحتم على المربين مراعاة ذلك ومساعدته في تدريبه على ذلك، وبذلك يمكن للطفل أن يصل إلى أكبر قدر من النضج العقلي، من ناحية أخرى قد يتعرض الطفل لمشكلة أو عائق ما، ويحاول إيجاد حل مناسب لاجتياز ذلك،

ومعرفة أي الطرق يتخذها لكي تؤهله إلى الوصول للحل المناسب بدقة وسهولة، وهذا يتطلب أن تكون لديه الخبرة في اتباع التفكير العلمي السليم في تحقيق ذلك، فمن الأمور المهمة أن يتعلم الطفل كيفية حل المشكلات، ويحتاج ذلك إلى الممارسة والتدريب، وهنا يأتي دور المربين في مساعدة الطفل، ولكي يتم ذلك تنصح الدكتورة نوال محمد عطية (٩ - ١٠٧: ٢٠٠١) المربين بالقيام بما يلي:

- تدريب الطفل منذ الصغر على طريقة التفكير العلمي السليم، قائمة على التوصل لسلوك معين لحل المشكلة التي تواجهه، فتتكون لديه عادة التفكير العلمي تدريجيا.

- إن التدريب على طرق لحل المشكلات في المواقف الحياتية البسيطة منذ البداية المبكرة في حياة الفرد من شأنه أن يؤدي إلى سهولة حل المشكلات الأكثر تعقيدا إذا ما حدثت في المراحل العمرية التالية، حيث يتم بذلك اكتساب عادة التفكير العلمي المنطقي السليم القائم على الفهم والتقصي والتروي والنظر للمشكلة من جميع جوانبها وأبعادها.

- ومن المفيد أن تكون الممارسة والتدريب لحل المشكلات بتوجيه الآخرين، بأن يصحح للطفل ويعرف أين أخطأ وأين أصاب، فتنمو مقدرته على التعرف على أنواع المشكلات وعلى كيفية الوصول للحلول السليمة لها.

- وبعد فترة من الممارسة والتدريب عندما يبدأ الطفل في حل المشكلات، يجب مراعاة أن يتأكد من أنه قد اكتسب الطرق الصحيحة بدقة وتفصيل كي يعالج المواقف الاجتماعية إذا ما تعرض لأي منها، معتمدا على ما تعلمه من أساسيات خبرها سابقا.

- إن الاهتمام بتكوين وتنمية المهارات العقلية لدى الطفل حول كل الموضوعات والمواقف التي قد يواجهها تعطيه المقدرة على اجتياز كثير من

العقبات بطريقة موضوعية وعلى أسس دقيقة.

- من الضروري أن يقوم المربون بمساعدة الطفل على التفكير السليم، وذلك بتوفير المعلومات والبيانات والمعارف التي تفيده في حل المشكلة، وتعليمه كيف يعيد ترتيب البيانات وتبويبها، وتعليمه إمكانية تقييمها واكتشاف العلاقات العامة والعناصر المشتركة في الموقف المشكل، والاستبصار والفهم وتركيز الانتباه لكل ما يحيط بالمشكلة.

- الاهتمام بالطفل منذ بداية تكوينه العقلي والنفسي، ومواجهة المواقف والمشكلات التي تثير انتباهه، والقيام بشرحها له بطريقة بسيطة خالية من التعقيد والغموض، ويتوخى فيها أن تتضمن مواقف تعليمية تثير دوافعه وتفكيره مع التأكد أنها تهدف إلى تعليمه السلوك العلمي والموضوعي في حل المشكلات.

- لا بد من الأخذ في الاعتبار أنه قد يخفق الطفل في معالجة المواقف والمشكلات، وفي هذه الحالة يجب الحذر من القائمين على تربية الطفل ألا يواجهوا خطأه بالعنف والتوبيخ واللوم والتأنيب أو أي نوع من أنواع العقاب، فإن ذلك يؤدي إلى عدم التوافق والتكيف، والفشل في المقدرة على اتخاذ القرارات.

وترتبط اللغة ارتباطا وثيقا بالنمو العقلي، كما أنها تعتبر أداة مهمة لاكتساب المعرفة، ويعود ضعف النمو اللغوي في بدء حياة الطفل إلى محدودية النضج البيولوجي، وذلك لعدم اكتمال عضلات اللسان والأحبال الصوتية التي تساعده على إخراج الكلمات والمقاطع (عيسوي، عبد الرحمن ١٩٨٤:٨٤).

ويتعلم الطفل الكلام تدريجيا عن طريق اختلاطه مع الآخرين، ورغم وجود الفروق الفردية بين الأطفال في مدى القدرة على تعلمهم الكلام، إلا أن الوالدين باستطاعتهما مساعدة الطفل في اكتسابه سرعة تعلمها، كأن يقوموا في البدء مثلا بتدعيم همهماته المبكرة وذلك من خلال إظهار المحبة له (في شكل ابتسامات وتدليلات أو

صيحات السرور) عندما يتكلم إلى حد ما كلاما مفهوما، ومن خلال هذا التفاعل بين الطفل ووالديه تشبع حاجة الطفل العاطفية، وعندما يستمر الوالدان في تدعيم محاولات الطفل المستمرة للنطق بالكلمات الصحيحة، كأن يلبوا رغبته بأن يقدموا له ما يريد، مثلا عندما يفهم منه أنه يريد شرب اللبن، ولا تقتصر فائدة تلبية الوالدين لطلبات الطفل على إمكانية زيادة تكرار الطلب عند الطفل وتعلمه للكلمات، بل أيضا تؤدي إلى ازدياد ميله للمطالبة بأشياء أخرى (لامبرت، وليم ؛ لامبرت وولاس ١٩٩٣:١٥٧).

ومن أبعاد النمو اللغوي عدد الكلمات وصياغة الجمل، فكلما تدرج الطفل في النمو كلما كانت الجمل اللفظية أطول، ويكون ذلك مؤشرا على مدى المقدرة اللفظية لدى الطفل (الأشول، عادل ٢٠٠٨:٢٩٣).

ويمكن أن يكون للأم مثلا دور مهم في تلقين الطفل اللغة، بحيث يكون ذلك عن طريق المحادثة في مواقف وأماكن متفرقة، ومن الأفضل أن تقوم بتدريبه على الكلمات الجديدة والمناسبة أثناء مشاركته ألعابه الخاصة، وخاصة تلك التي تحتوي على صور تهمه كصور أعضاء الأسرة المقربين منه، أو صور بعض الأشياء أو الحيوانات الجميلة التي يحبها، وبعد سن الثانية من عمر الطفل على الأم أن تعرض الأشياء والألوان على الجدار أو الشاشة وتطلب من الطفل أن يسميها، ويفيد أيضا أن تلعب الأم مع الطفل لعبة المترادفات مثل (حلو- جميل)، أو الكلمات المتغايرة مثل (بارد- حار) ومن المهم أن تتطور هذه الطرق وتنمو مع نموه، وتستطيع الأم الاستفادة من الأجهزة الحديثة في إسماع طفلها قصصا طريفة وأناشيد جميلة يستسيغها الطفل منذ سنواته الأولى من العمر، حتى تستقر في ذاكرته (الخميسي، أحمد ٢٠٠٦:٢٤).

وبعد أن يصبح الطفل قادرًا على الكلام، كأن يقص القصص ويحكي الحكايات ويطلب ما يريد ويعبر عن مشاعره بجمل بسيطة وقصيرة، يأتي دور الأسرة في أن تعلمه

القراءة، ومن الأفضل أن يكون ذلك في سن مناسب يكون فيه قادرا من الناحية العقلية والجسدية على الاستيعاب والجهد، خاليا من الأمراض، وأن يكون تقريبا ما بين الرابعة والسادسة من العمر، ويهيئه ذلك للمرحلة الأولى من التعليم.

فالقراءة عملية عقلية حسية معقدة، يتعرف القارئ بواسطتها على المعاني والدلالات والرموز التي تنطوي عليها المادة المكتوبة، وكما تعد القراءة نشاطا لغويا متميزا، فهي أداة من أدوات تحصيل الثقافة والمعرفة، وعلينا أن نتمعن في قراءة جملة بسيطة مثل (الكتاب خير جليس)، لنرى أنها تتم وفق الخطوات التالية:

١. رؤية الكلمات المكتوبة أو المطبوعة بحاسة البصر.

٢. تنقل هذه الرموز بواسطة العصب البصري إلى العقل فيدرك معناه منفردة ومجتمعة.

٣. ينفعل القارئ ويتأثر بما يقرأ.

وتتطلب هذه الخطوات من القارئ أن يمتلك القدرات والمهارات والاستعداد الجسمي والعقلي والعاطفي والتربوي، وأي نقص في هذه الجوانب قد يؤدي إلى قصور في عملية القراءة.

وبتعلم الطفل للقراءة تزداد معلوماته وتنمو أفكاره وتتكاثر ثروته اللغوية وتعظم خبرته في الحياة، كما تسهم القراءة في النمو العقلي لما تقدمه من ثقافة ومعرفة تساعد الطفل على استيعاب المواد الدراسية وتحقيق النجاح في نيل الشهادات العلمية في المستقبل (الخميسي، أحمد ٢٠٠٦:٣٦).

ومن الاحتياجات التي يتطلبها النمو العقلي للطفل أيضا ممارسة البحث والاستطلاع، وفي الشهر السابع من عمره يميل الطفل لحب الاستطلاع، ويزداد هذا الاهتمام مع تطور نموه، ويظهر ذلك في محاولات الطفل فحص كل ما يقع تحت

يديه، كأن نراه مثلا يتمعن في أي لعبة يقبضها بيديه أو يتطلع بعينيه للأشياء ويتابعها، وبهذا السلوك يحاول الطفل أن يتعرف على شيء جديد في بيته ويحاول اختباره، وما كل ذلك إلا إشباع لحاجة الطفل إلى المعرفة والبحث والاستطلاع، ومن هنا يكتسب الطفل معلوماته وتنمو معرفته وتزداد خبراته، وهكذا يساهم استعماله لعضلاته وحواسه في اكتساب مهارات البحث والاستطلاع (قناوي، هدى ١٢٤:٢٠٠٨).

ولتنمية البحث والاستطلاع عند الطفل على المربين أن يستغلوا حاجته إليها لتدعيم نموه العقلي والمعرفي، وذلك بأن توجه رغبته إلى استكشاف ألوان متعددة من الثقافة وتشجيع على الاستفسار، وأن تتاح له فرصة أن يسمع ويرى ويتذوق ويشم ويحس ويفك لعبه ويركبها ويختبرها، وهكذا.

وتساعد المواد والأدوات المتعددة والمتنوعة التي يستخدمها الطفل كوسائل للتسلية في اتساع مداركه، فالتنوع في هذه الوسائل كاللعب والكتب والخرائط والكرات الأرضية والجداول الرياضية وسلاسل الألعاب التعليمية وأدوات المهن المختلفة، كأدوات الطبيب والمهندس والنجار وغيرها، كلها بإمكانها استثارة فضول الطفل فيتعجب منها ويفحصها ويتساءل ويفكر، وبذلك يكتسب الطفل ثقافة مجتمعه وخبراته (قناوي، هدى ١٢٦:٢٠٠٨). ومن خلال اللعب يمارس الطفل نشاطه الذاتي والذي يجب أن يستغل من قبل المنزل والمدرسة بطريقة مثلى لإشباع حاجة الطفل للمعرفة.

وتشكل أسئلة الطفل التي يوجهها للكبار أمرا مهما لإشباع حاجته المعرفية، فيجب ألا يمل الكبار الإجابة عليها ولكن بطريقة تتناسب مع مستوى إدراك الطفل لها، فكثيرا ما يتهرب الآباء من الإجابة عن هذه الأسئلة أو يواجهونها بالغلظة والجفاء مما يؤدي إلى إحباط الطفل، وربما يقدم الآباء إجابات خاطئة ومضللة لجهلهم بالإجابة أو لكون تلك الأسئلة محرجة، ويعوق ذلك إشباع

الطفل فيقوده حب الاستطلاع الذي يميز سنه إلى البحث عنها في مكان آخر، الأمر الذي قد يؤدي إلى فقد الثقة في والديه وربما يؤدي لانحرافه.

ويساعد في زيادة خبرات الطفل أيضا توجيه انتباهه إلى المثيرات الطبيعية، كاختلاف الليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم وتعاقب الفصول وتقلب الجو وتنوع النباتات والطيور والحيوانات والحشرات والأرض والسماء... إلى آخره، وكل ذلك يساهم في تكامل النمو العقلي.

كما يمكن للمجتمع أن يساهم بكل مؤسساته في إتاحة المجال للمثيرات والخبرات اللازمة لنمو الطفل وإشباع حاجته إلى البحث والاستطلاع والمعرفة، وذلك من خلال ما يعايشه من أعياد ومهرجانات واحتفالات، وكذلك مؤسسات المجتمع كدور العبادة والنوادي والسينما ومسرح العرائس وغيرها. وكل ذلك يمكن أن يكون مجالا يكتسب منها الطفل الخبرات، وبقدر ما يقدم للطفل من مثيرات بقدر ما يكتسب من خبرات تساعد على عمل استجابات صحيحة بعد توجيهها فتتكون ثقافته وتتحدد معالم شخصيته (قناوي، هدى١٢٦:٢٠٠٨).

وكلما أتيحت للطفل فرصة تلقي الخبرات والمعارف وتشجيعه للبحث عنها كان ذلك إسهاما في تنمية حب المعرفة لديه وإكسابه التوسع في الثقافة والنضج العقلي.

وهكذا يصبح إشباع حاجات الطفل المادية والمعنوية من أهم الأسس لبناء شخصية إيجابية تؤهله للانتقال لمرحلة صعبة ومهمة، هي مرحلة المراهقة، وتجنبه ما قد يصادفه من مشكلات فيها.